الحذف في سورة الحج ووظيفته في التماسك النصي
دراسة نصية

د٠ حمد بن عبد الله بن حمد السيف(*)

المقدمة:

ينماز النص القرآني بالترابط النصي على مستوى الآية، والسورة، ومجموعة السور، بل والقرآن كله، حتى إنه يبدو كالكلمة الواحدة في اتحاد مقاصده، وتشابكها، وإجمالها وتفصيلها، وسورة الحج نموذج لهذا الترابط، والتماسك النصي.

أما علاقة ظاهرة الحذف بالتماسك النصي، فهي محاولة من المتلقي لسد ثغرات النص، وإظهار تماسكه، فطبيعة اللغة تميل إلى اختزال العناصر اللغوية لتعزز دور المتلقي في عملية الفهم، وبهذا يتبين لنا دور الحذف في تماسك النص، فالحذف ليس غموضاً ولا خللا في تراكيب الجمل بقدر ما هو إيحاء ورمز ويظهر في مقام أفضل من الذكر.

وسورة الحج كغيرها من سور القرآن تتميز بروابط دلالية بين آياتها ومقاطعها، حيث يُمكن للقارئ الوقوف على مقاصدها ومن ثم ربطها بعضها ببعض.

أسباب اختيار الموضوع: وقع اختيار الباحث على هذا الموضوع لدراسته لعدة أسباب منها:

١– تطبيق نظرية نحو النص على سورة الحج.

٢– الرغبة الملحة في الوقوف على إعجاز النص القرآني في سورة الحج.

٣– استجلاء العناصر المحذوفة من سورة الحج وبيان أثرها في ترابط الآيات.

٤– تفصيل أنواع الحذف في سورة الحج.

(*) أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية – جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية.

منهج البحث:

يقوم هذا البحث في الأساس على المنهج النصي المنبثق من علم لغة النص (نحو النص)، وهو منهج نقدي يدور حول اكتشاف معايير نصية النص في سورة الحج، وكما استخدم الباحث المنهج الوصفي في وصف التماسك النصي في سورة الحج من خلال ظاهرة الحذف.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في الكشف عن الأثر النصي للحذف في سورة الحج، ودوره في تماسك نص السورة، وترابط أجزائها.

الدراسات السابقة:

حسب التتبع لم أعثر على دراسة حول الحذف في سورة الحج ووظيفته في التماسك النصي، وأقرب الدراسات التي وقفت عليها هي:

١- الحذف ودلالته في القرآن الكريم: سورتا (طه والنمل) أنموذجًا، ماجستير، للباحثة: سليمة حذاق، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب واللغات، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.

٢- الحذف المقابلي في القرآن الكريم: سورة آل عمران أنموذجًا، دراسة بلاغية، د. عبد الرحمن أحمد عبد الله المقري، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بقنا، العدد (٥٧) أكتوبر ٢٠٢٢م.

٣- ظاهرة الحذف في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية على سورة النساء، د. رحيمة أوسيف، بحث منشور في مجلة الإحياء، المجلد (١٨)، العدد (٢١) يونيو (٢٠١٨م).

أهداف البحث:

١- بيان المقاصد الدلالية لسورة الحج.

٢- الكشف عن أثر الحذف في تماسك نص سورة الحج.

٣– إلقاء الضوء على حذف الأسماء والأفعال والتراكيب في سورة الحج.

الكلمات المفتاحية:

ظاهرة الحذف، التماسك النصي، الاحتباك، سورة الحج، نحو النص.

وقد جاءت خطة هذا البحث كالآتي:

المقدمة .

التمهيد: سورة الحج ومقاصدها الدلالية.

المبحث الأول: الحذف في نحو النص وأثره في التماسك.

المبحث الثاني: الحذف النصي في سورة الحج وأثره في التماسك النصي.

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

المصادر والمراجع.

تمهيد

سورة الحج ومقاصدها الدلالية

سورة الحج من السور المكية وتتميز بملامح القرآن المكي، سوى ست آيات مدنية، من قوله تعالى: (**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**)، إلى قوله تعالى: **(وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ)** [سورة الحج: ١٩: ٢٤]، وهي "ثمان وتسعون آية، وعدد كلماتها ألفان ومائتان وإحدى وتسعون كلمة، وعدد حروفها خمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا"(١).

وقد يتساءل البعض: لم سُميت سورة الحج بهذا الاسم؟ على الرغم من نزولها في مكة، قبل أن يُفرض الحج؛ لأن الحج قد فُرض في سورتى البقرة وآل عمران، وهما سورتان مدنيتان، وهذه مكية، والجواب " أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِيهَا كَيْفَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى حَجِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَذَكَرَ مَا شَرَعَ لِلنَّاسِ يَوْمَئِذٍ مِنَ النُّسُكِ تَنْوِيهًا بِالْحَجِّ وَمَا فِيهِ مِنْ فَضَائِلَ وَمَنَافِعَ، وَتَقْرِيعًا لِلَّذِينِ يَصُدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ "(٢).

موضوعات سورة الحج ومقاصدها:

تشتمل سورة الحج على موضوعات عدة، ومقاصد دلالية مختلفة، أهمها:

١- الأمر بالتقوى، والتخويف من أهوال الساعة، وشدائد يوم القيامة.

٢- بيان أدلة البعث، وإتيان القيامة، وبيان بعض مشاهدها.

٣- الحديث عن حرمة المسجد الحرام، وفرضية الحج ومنافعه، وحرماته وشعائره، ومناسكه.

---

(١) ابن عادل (ت٧٧٥هـ)، (١٤١٩ هـ -١٩٩٨م)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، بيروت / لبنان. دار الكتب العلمية (٣/١٤).

(٢) محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، (سنة النشر ١٤٠٣ هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، (١٨١/١).

٤– الحديث المقنع عن أسباب فرضية القتال، ومقومات النصر على الأعداء.
٥– تسلية الرسول صلّى الله عليه وسلم عما ناله من أذى قومه، وتكذيبهم له.
٦– بيان أن العاقبة للمتقين من خلال التعريف بحال أهل القرى الظالمة التي أهلكها الله.
٧– تحديد مهمة النبي صلّى الله عليه وسلم وهي إنذار مكذبي القرآن بالنار، وتبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالجنة والنعيم.
٨– الكلام عن أدلة القدرة الإلهية من خلق الليل والنهار، والسماء والأرض، والإحياء والإماتة.
٩– بيان مدى تبرم الكفار بآيات الله، وإظهار الغضب على وجوههم، وتحديهم بأن آلهتهم من الأصنام وغيرها لا تستطيع خلق ذبابة، فضلا عن خلق الإنسان.
١٠– الكلام عن أحكام التشريع من أمر المؤمنين بفرائض جوهرية ثلاث هي: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والجهاد في سبيل الله حق الجهاد.
١١– التذكير بسماحة الإسلام، وأن الدين يسر لا عسر.
١٢– الأمر بالاعتصام بدين الله والقرآن والإسلام.
١٣– بيان أن الرسول شهيد على أمته يوم القيامة، وأن أمته تشهد على الأمم المتقدمة بتبليغ أنبيائهم لهم دعوة الله وتشريعه(١).

وإن بدت هذه الموضوعات متباينة، إلا أنني أرى أنها تصب في النهاية في قالب واحد هو بناء شخصية المسلم الكامل الإيمان، (بناء عقيدته في البعث، والإيمان باليوم الآخر، وبناء جهاده ، وصبره على الشدائد، ودعوته، وشريعته)، فكل ما يتعلق بشخصية المسلم هو عبارة عن خيط ينتظم هذه الآيات، فيتحقق الترابط على مستوى السورة وتماسكها النصي.

(١) انظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي الدمشقي (ت: ١٤٣٦هـ)، (سنة النشر ١٤١٨هـ)، التفسير المنير، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر– دمشق (١٤٨/١٧، ١٤٩).

المبحث الأول

الحذف في نحو النص وأثره في التماسك

مفهوم الحذف النصي:

الحذف علاقة داخل النص، تتم بإسقاط عنصر لغوي ما، مع افتراض أن المتلقي لديه القدرة على تأويل العنصر اللغوي الذي أُسقط، وقد أشار علماء اللغة القدماء إلي الحذف في مؤلفاتهم النحوية منها والبلاغية، ومن ذلك ما جاء عند سيبويه (ت ١٨٠ هـ) في قوله: "وسألت الخليل (ت ١٧٥هـ) عن قوله جل ذكره : (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) الزمر من الآية: ٧٣، أين جوابها؟ وعن قوله جل وعلا: (ولو يرى الظالمون إذ يرون العذاب) البقرة من الآية : ١٥٦، والآية الكريمة: (ولو ترى إذ وُقفوا على النار) الأنعام من الآية ٢٧، فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم؛ لعلم المخبر لأيِّ شيءٍ وضع هذا الكلام"(١).

أما الحذف عند علماء اللغة النصيين فهو " اعتداد بالمبنى العدمي، أو ما يسمونه Zero Morpheme [أي المورفيم الصفري] فالبنيات السطحية (Surface Structures) في النصوص غير مكتملة غالبًا، بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي، ففي قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ**﴾ لا مفر من فهم: وشهد الملائكة، وشهد أولو العلم"(٢).

والعناصر المحذوفة من النصوص تشير إليها قرائن، حيث أجمع علماء اللغة القدماء والمحدثون على أن الشرط الأساسي للحذف هو ضرورة وجود دليل حالي

---

(١) سيبويه (ت ١٨٠هـ)، (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٠٣/٣).

(٢) النوري، محمد جوادي (٢٠٢٠م)، لسانيات النص وتحليل الخطاب، دار الكتب العلمية ، ص٤٨٦.

أو مقالي يدل على المحذوف، حيث "إسقاط عنصر من عناصر الكلام بشرط وجود الدليل أو القرينة لمعنى ما يريده المبدع"(١).

أما التماسك النصي الناتج عن ظاهرة الحذف، فهو ترابط أجزاء النص والتماسك الشديد بين أجزائه " وينبغي أن نفرق بين الربط الذي يمكن أن يتحقق من خلال أدوات الربط النحوية: الروابط، والتماسك الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، ويمكن تتبع إمكانات الأول على المستوى السطحي للنص، إلا أن الثاني يتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص" (٢).

أنواع الحذف في النص:

الحذف إحدى الظواهر اللغوية المؤثرة في القدرة التعبيرية للغة، وتتعدد أنواع الحذف في النصوص العربية، حسب طبيعة العنصر اللغوي المحذوف من النص، وكل عنصر لغوي تم إسقاطه من النص لم يكن اعتباطًا، بل بدليل يدل عليه يجعل المتلقي يهتدي لدلالة الكلام، ولغرض يريده المتكلم، فـ " العرب تحذف الحرف من الكلمة، وتحذف الكلمة من الجملة، وأحيانا تحذف الجملة الواحدة والجمل من الكلام، لعلم السامع بتمامه " (٣).

وإقصاء عنصر لغوي من النص له أبعاد لغوية وإدراكية متعددة ومهمة، فقد يتم إسقاط بعض عناصر الجملة الواحدة، أو حتى إسقاط بعض أجزاء الكلمة الواحدة، فيسقط منها حرف أو أكثر، وهذا العنصر اللغوي الذي أُسقط من الكلام "

---

(١) عبد السلام، فايز صبحي (٢٠١١م) الحذف التركيبي وعلاقته بالنظم والدلالة، دار الكتب العلمية، ص٢١.

(٢) جاسم، جاسم على (٢٠١٨م)، أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، دار الكتب العلمية – بيروت، ص١٤.

(٣) الجبوري، أحمد حسن (٢٠١٤م)، موسوعة أساليب الإيجاز في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، ص٤٠.

قد يكون اسمًا أو فعلا أو حرفًا، وقد يكون جملة، كما هو الحال في حذف جملة جواب الشرط أو جملة جواب القسم عند اجتماعهما " (١).

وفي علم لغة النص يُمكن تقسيم أنواع الحذف في إطار النص، فيكون في مفردة نصية أو جملة نصية أو مقطع نصي، أو موضوع من موضوعات النص، ويرى أحد الباحثين أن حذف الكلمة والحرف لا يعد حذفًا نصيًّا؛ لأنه لا يؤثر في المعنى النصي. وبناء عليه قسَّم أنواع الحذف تقسيمًا نصيًّا آخر، يقوم على مفهوم الجملة والنص، فالحذف نوعان:

• **حذف جملة** : وهو ما كان أثره الدلالي أو الارتباط المرجعي له في حدود الجملة، نحو قوله تعالى: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ**﴾ على تقدير المحذوف صبري، أي صبري صبر جميل، فالأثر الدلالي للمحذوف في حدود الجملة، خاصة في الجمل التي يمكن أن تغادر نصها، وهذا لا يعني عدم نصيتها.

• **حذف نصي:** وهو ما كان أثره الدلالي أو الارتباط المرجعي له يتعدى حدود الجملة، وهذا النوع يعمل على ربط أجزاء النص، وللمتلقي فيه فسحة للحراك الفكري أو التأويل، نحو قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**﴾ الفاء في (فَلَمَّا) عطفت على جملة حدث سبق وصول يوسف عليه السلام إلى الملك، وهي من مجريات القصة يقدرها المتلقي، وحذفت لأنها تفهم من السياق" (٢).

وهناك نوع آخر من الحذف، وهو حذف القصة أو العبارة كاملة، أو حذف بعض الأحداث من النص الكامل في التسلسل الزمني للقصة، وهذا النوع يمنح المتلقي مساحة من التفكير، وقدرة على ملء الفراغات " ومن هنا يأتي دور

(١) عبد السلام، فايز صبحي (٢٠١١م) الحذف التركيبي وعلاقته بالنظم والدلالة، ص٢١.

(٢) الهوواشة، محمود (٢٠١٧م)، الاتساق في تماسك النص: سورة يوسف مثالا، دار الرنيم للنشر والتوزيع، ص١٢٨.

الحذف النصي الذي يعطي الدور للمتلقي في التقدير بما يوفره السياق من دلالات من أجل إيجاد الاستمرارية النصية " (١) .

مقاصد الحذف النصي:

كانت مقاصد العرب وأهدافهم من ظاهرة الحذف متعددة منها: الإيجاز والاختصار، فهو من أبرز المقاصد عند علماء العربية القدماء، والاختصار هدفه التخلص من الحشو، وتحقيق الإيجاز غير المخل بالمعنى " فاللغة العربية تسعى للإيجاز عند أمن اللبس، ومن ذلك يأتي دور الحذف للتخلص من الحشو المعلوم أو المفهوم من السياق، ومن الحذف القسم والشرط، نحو قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيات لِلسَّائِلِينَ**﴾ فالقسم محذوف " (٢) .

فالحذف أسلوب من أساليب العرب في البيان، لم يأت عبثًا، بل بقصد يحمل وراءه تأويلات يساعد المقام بوصفه قرينة من قرائن تحديد المعنى على استجلاء أكثرها، ويكون دور المتلقي الوصول إلى هذه المقاصد من خلال القرائن المتاحة لديه، والتي تمكنه من إكمال المعنى، حيث يعتمد فهم المحذوف من النص على سياق الكلام السابق أو اللاحق؛ لأن " دلالة لفظ القول على ما حذف من السياق قبله " (٣).

ونالت ظاهرة الحذف مساحة من الاعتناء عند علماء النص في الدراسات النصية الحديثة؛ لأنه يمثل ابتعادًا عن المستوى التعبيري الطبيعي، إلى مستوى من التعبير المبني على التأويل، مما يسهم في تحقيق تماسك النص " ويتضح أثر

---

(١) المصدر السابق، ص١٢٩.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص١٢٩.

(٣) الظواهري، كاظم (١٤١٣هـ– ١٩٩١م)، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي، ص٣٣٩.

الحذف في تحقيق التماسك النصي عند علماء النص؛ لأن الحذف (إبدال من الصفر) (Substitution by zero) " [١].

وتفجر ظاهرة الحذف النصي في الأذهان شحنة توقظ الذهن، وتجعله يفكر فيما هو مقصود، كأن القارئ يُشكل بناء النص من جديد، فالمتلقي يشارك منتج النص في بناء نصه، ويعتمد على القراءة الفعالة التي تُمثل جزءًا " لا يتجزأ من عملية فهم النص وتفسيره، من خلال تفاعل النص مع طرفي الإنتاج والتلقي (المنتج المتلقي)؛ فالحذف عملية اختيار يلجأ الكاتب إليها لتحقيق مقاصد معينة، ويسعى المتلقي إلى استنباط تلك المقاصد عبر قراءته للنص، في محاولة للكشف عن دور الحذف في صنع تماسك النص وخصوصيته... فيتحقق الترابط والتماسك على مستوى النص ككل، ومن هذا المنطلق يكون الحذف سمة من سمات النصية؛ مما يكسب كل قراءة للنص خصوصيتها " [٢].

وقد يعتمد منتج النص على سابقة علم المخاطب بالعناصر اللغوية المحذوفة من النص، فيُمثل الحذف عملية إنتاج دلالي للنص، وكذلك بناء لأجزائه مما يحقق تماسك النص، والسؤال هنا: كيف يحقق الحذف الترابط النصي؟ والجواب: " يحقق الحذف الترابط النصي من خلال البحث عما يملأ الفراغ فيما سبق من خطاب، وبذلك يقوم المتلقي للنص بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي، وما

(١) شيماء رشيد محمد (٢٠١٥م)، الخلاف النحوي في بنية النص القرآني في ضوء الدراسات الحديثة، الطبعة الأولى، دار دجلة للنشر، ص٢٨٣.

(٢) علي، أحمد سمير (٢٠٢٢م)، البنية النصية في ديوان البحتري، وكالة الصحافة العربية، ص٦٧.

سبق من خطاب، والحذف من وسائل الترابط النصي، إذ أنه أفضل من الاعتماد على الذكر. " (١).

ويأتي الحذف لجعل النص متماسكا دلاليًّا ومنطقيا، حيث تبقى البنى النصية متواصلة، وعليه يتحقق الاتساق من خلال التماسك المنطقي للتراكيب، حيث إنَّ "الرابط بين هذه الأبنية الكبرى، والأبنية الصغرى المحذوفة رابط دلالى " (٢). أما صلة حذف العناصر اللغوية بالتماسك النصي، فتتحقق عبر محورين أساسين هما:

أ – التكرار: باللفظ نفسه، وبالمعنى فقط، أو كليهما معًا .

ب– المرجعية: سابقة أو لاحقة " (٣).

وبناء على ما سبق يمكن القول: إن تحقيق التماسك النصي يُعد أهم مقصد من مقاصد الحذف النصي، حيث يلجأ منتجو النصوص إلى إسقاط عناصر لغوية داخل النص؛ ليتمكن المتلقي من تشكيل الصورة الدلالية النهائية للنص، وسد فراغاته، معتمدًا في ذلك على القراءة الناقدة البناءة، التي تسهم في إتمام البناء المعرفي للنص، كما يعتمد على معطيات سياقية، وتختلف عملية بناء النص هذه حسب اختلاف ثقافة المتلقي، وقدرته على التأويل.

**

(١) حمد، عبد الله خضر (٢٠١٧م)، لسانيات النص القرآني، دراسة تطبيقية في الترابط النصي، دار القلم للنشر والتوزيع، ص ١٤١.

(٢) الفقي، صبحي إبراهيم (٢٠٠٠م)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للنشر والتوزيع، (٦١/١).

(٣) المصدر السابق نفسه، (٢٢٢/٢).

المبحث الثاني

الحذف النصي في سورة الحج وأثره في التماسك النصي

يتميز النص القرآني بكثرة الحذف، حيث يعدّ الحذف واحدا من أهمّ الأدوات التي تُسهم في ترابط النص القرآني، والتي ساعدت على تكثيف الدلالات مع توخي قلّة الكلمات والعبارات، "فعلى الرغم من بقاء النص القرآني نصًّا مفتوحًا تتنزل آياته وسوره تنزيلا منجما، يجد المتأمل في القرآن الكريم تماسكًا يثير الإعجاب والدهشة"(١).

وقد اعتنى المفسرون وعلماء علوم القرآن بهذه الظاهرة، وتكلموا عن أثره في ربط أجزاء الكلام ، حتى إنهم نعتوه بالاحتباك(٢)، وفي رأيي أن هذه التسمية تعكس أثره في تماسك النص وترابط أجزائه "، وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما يثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما يثبت نظيره في الأول، كقوله تعالى: ﴿**ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق**﴾ [البقرة: ١٧١]، التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به، فحذف من الأول (الأنبياء)

---

(١) جاسم، جاسم علي، أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، ص٧٨.

(٢) سماه الزركشي: الحذف المقابلي، وقال عنه: "السابع الحذف المقابلي: وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابلة، لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ** ﴾، الأصل: فإن افتريته فعلى إجرامي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا برئ مما تجرمون، فنسبة قوله تعالى: "إجرامي"– وهو الأول– إلى قوله: "وعليكم إجرامكم" – وهو الثالث – كنسبة قوله: "وأنتم برآء منه" – وهو الثاني – إلى قوله تعالى: (وأنا بريء مما تجرمون)– وهو الرابع– واكتفى من كل متناسبين بأحدهما " . انظر: الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، (١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، (١٢٩/٣).

لدلالة (الذي ينعق) عليه، ومن الثاني (الذي ينعق به) لدلالة (الذين كفروا) عليه " (١) .

وهذا النوع من الحذف يتضمن أثرًا فكريًّا ونفسيًّا يعود على المتلقي للنص القرآني في إطار الفهم والإدراك والتأويل "يتمثل في بعث الفكر وبسط الخيال وإثارة الانتباه ليقع السامع على مراد الكلام، ويستنبط معناه من القرائن والأحوال، وهكذا فإن للقرآن الكريم أثرًا في النفس، فهو يثير الوجدان ويرهف الإحساس والمشاعر ويوقظ الإدراك"(٢).

أما المتلقون للنص القرآني ليسوا على نمط واحد من التلقي، فالفئة الأولى هي فئة العوام قليلو الحظ من العلم والثقافة، وهؤلاء يتعاملون معه في إطار التعبد فقط، دون بحث أو فهم، وهذا النوع من التلقي ليس فيه تأويل، أو حتى مجرد فهم للمعنى إلا ما هو ظاهر لا يحتاج إلى تفسير أو نظر.

وثمّة نمط هم أرباب الثقافة والعلم غير المتخصصين في التفسير والدراسات القرآنية، وإن كان مستوى وعيهم بالدلالة القرآنية أكبر من فئة العوام إلا أنهم لا يملكون أيضًا الأدوات التي تمكنهم من ملء الفراغ النصي الذي يتسبب فيه الحذف في القرآن.

أما النمط الثالث فهم العلماء المتخصصون في التفسير، وهم أكثر الناس معرفة بمعاني الكلمات والآيات؛ نظرًا لتمكنهم من ناصية اللغة، واطلاعهم على تفاسير من قبلهم، وامتلاكهم أدوات المفسر، وهم أقدر الناس على فهم الحذف في

---

(١) ابن عقيلة المكي (١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، مركز إصدارات مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، (١٣٣/٦، ١٣٤).

(٢) آلاء أحمد حسن (١٤٣٧هـ –٢٠١٦م)، التخلص في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، الطبعة الأولى، دار غيداء للنشر والتوزيع، ص٧١.

القرآن الكريم، وتأويل العناصر المحذوفة، والنظر في سياق الآيات، والاستعانة بالقرآنية المقالية والحالية في تأويل الحذف.

وتكمن أهمية فهم هذا النمط من المتلقين للنص القرآني، من خلال دورهم في عملية الفهم والإدراك ثم التفسير، وملء فراغات العناصر اللغوية المحذوفة. "ذلك أن دور المتلقي للنص، بما يملكه من أدوات ووسائل وآليات تُسهم، إلى حد كبير، في تحقيق التماسك النصي، إذ لا نستطيع الذهاب إلى القول بوجود نص منسجم (محبوك)، أو متسق (مسبوك) في ذاته، أو غير منسجم أو متسق في ذاته باستقلال عن المتلقي، فالمتلقي هو الذي يحكم على انسجام نص واتساقه، وعدم انسجام نص آخر واتساقه، ومن بين ذلك تقدير المحذوف من النص تقديرًا صائبًا"(١).

وحقيقة الأمر أنَّ الباحثين في علم اللغة يعتمدون على العلماء المتخصصين في التفسير؛ لأنهم الأجدر بعملية قراءة النص القرآني وتأويله؛ لامتلاكهم الأدوات المؤهلة لاستخراج الحذف النصي في القرآن الكريم، ويأتي دور الباحثين المهتمين بالتماسك النصي في القرآن هنا، بالاستعانة بتأويلات هؤلاء المفسرين؛ مما يساعدهم على الكشف عن التماسك النصي في الآيات والسور المراد دراستها، والتعالق الذي نتج من فهم هؤلاء المفسرين للنص القرآني، "ويتم ذلك، فيما نرى، من خلال وعي المتلقي بالنص، أو الخطاب، وإحاطته بمكونات السياق اللغوي والاجتماعي المصاحب له، إضافة إلى امتلاكه للوسائل والآليات، أو القدرة على الفهم أولًا، ثم التأويل بعد ذلك. ويتجلى ذلك بوضوح في القرآن الكريم وتدبره؛ إذ لا بدَّ للقارئ حتى يحقق لذاته الفائدة والجدوى المتوخاة من القراءة، أن يكون مالكًا لأدوات القراءة الكريمة؛ من تجويد، وتلاوة، وترتيل، وتفسير، وتأويل " (٢).

(١) النوري، محمد جوادي (٢٠٢٠م)، لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص٤٩٥.

(٢) النوري، محمد جوادي (٢٠٢٠م)، لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص٤٩٥.

والحذف في سورة الحج يمكن تقسيمه إلى:

- **أولًا: الحذف الاسمي:**

إن الحذف في سورة الحج مكون أساسي من مكونات البناء الفني في السورة الكريمة، حيث حذف بعض العناصر اللغوية الاسمية، مع افتراض عنصر غير موجود في الآية لدلالة عنصر سابق أو لاحق عليه، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ [الحج:١]، فقد "نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى سَبَبِ اتِّقَائِهِ وَهُوَ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ مِنْ أَهْوَالِ السَّاعَةِ، وَهُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَيِ اتَّقُوا عَذَابَ رَبِّكُمْ"(١). فحذف المضاف (عذاب) أسهم في التماسك من خلال تأويل العنصر المحذوف.

وقوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الحج:٤] فقوله تعالى: " ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ بالفتح على أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ، والجملة جوابُ الشرطِ إنْ جُعلت (مَن) شرطيةً، وخبرٌ لها إنْ جُعلتْ موصولةً متضمنة لمعنى الشَّرطِ؛ أي من تولاه فشأنه أنه يُضلَّه عن طريق الجنَّةِ أو طريق الحقِّ أو فحقٌّ أنَّه يُضلُّه قطعًا"(٢). إن الوصول إلى الاسم المحذوف (شأنه) يتمم معنى الآية مما يحقق تماسكها.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ** ﴾ [الحج:٨]، فقوله: "﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالًا من ضمير (يجادلُ)؛ أي كائنًا بغيرِ علم، والمراد بالعلم العلم الضروري"(٣). وهذا العنصر المحذوف يتمم المعنى ويحقق الترابط.

---

(١) أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، (سنة النشر١٤٢٠ هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، (٤٧٩/٧).

(٢) أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٩٢/٦).

(٣) المصدر السابق نفسه، (٩٥/٦).

وفي قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [الحج: ١٠]، و "محلُّ (أنَّ) في قوله عز وعلا: ﴿وَأَنَّ الله لَيْسَ بظلام لِّلْعَبِيدِ﴾ الرفعُ على أنَّه خبر مبتدأ محذوف؛ أي والأمرُ أنَّه تعالى ليس بمعذِّب لعبيدِه بغيرِ ذنبٍ منْ قِبلهم، والتعبيرُ عن ذلك بنفيِ الظلمِ معَ أنَّ تعذيبَهم بغيرِ ذنبٍ ليس بظُلمٍ قطعًا"(١). والوصول إلى المبتدأ المحذوف يسهم في اكتمال المعنى النصي للآية وتحقيق ترابطها.

وفي قوله تعالى: ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ** ﴾ [الحج:١٩]، فقوله تعالى: " ﴿هذان خَصْمَانِ﴾ أي فريقان مختصمان، فالخصم صفة وصف بها الفريق، وقوله: ﴿اختصموا﴾ للمعنى و(هذان) للفظ والمراد المؤمنون والكافرون"(٢). فهناك صفة محذوفة دل عليها السياق، وتحديدها أسهم في إكمال المعنى وترابطه.

وفي قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ** ﴾ [الحج:٣٠]، فقوله: " ﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي الأمر ذلك أو تقديره: ليفعلوا ذلك ﴿وَمَن يُعَظّمْ حرمات الله﴾ " (٣)، ومثله قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج:٣٢]، قال النسفي (ت: ٧١٠هـ): ﴿ذلك﴾ أي الأمر ذلك ... ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى القلوب﴾ أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات وإنما ذكرت (القلوب) لأنها مراكز التقوى لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ" (٤). ووافقه

---

(١) السعود (ت: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٩٦/٦).

(٢) النسفي، أبو البركات (ت: ٧١٠هـ)، (سنة النشر ١٤١٩ – ١٩٩٨م)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيب – بيروت ، (٤٣٢/٢).

(٣) المصدر السابق نفسه، (٤٣٧/٢).

(٤) المصدر السابق نفسه، (٤٣٩/٢).

أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ) في قوله: " ﴿مِن تَقْوَى القلوب﴾ أي من أفعال ذَوي تقوى القلوبِ فحُذفتْ هذه المضافاتُ والعائدُ إلى (مَن) أو فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب، وتخصيصُها بالإضافة لأنَّها مراكزُ التَّقوى التي إذا ثبتتْ فيها وتمكَّنتْ ظهر أثرُها في سائر الأعضاءِ "(١). فالآية الكريمة فيها حذفان (الأمر ذلك)، و(أفعال تقوى القلوب)، وهذان الحذفان أسهما في الحبك النصي على مستوى الآية بعد تأويل العناصر المحذوفة.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الحج:٢٥]، قال النسفي (ت ٧١٠ هـ) : " ومفعول (يرد) متروك ليتناول كل متناول كأنه قال: ومن يرد فيه مرادًا ما عادلًا عن القصد ظالمًا فالإلحاد العدول عن القصد " (٢). ووافقه ابن عادل (ت ٧٧٥هـ)، الذي يرى أن: " قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ فيه أربعة أوجه: أحدها: أن مفعول «يُرِدْ» محذوف، والتقدير: ومن يرد فيه مرادًا ما عادلًا عن القصد ظالمًا نذقه من عذاب إليم. وإنما حذف ليتناول كل متناول، قال معناه الزمخشري. والثاني: أنّ المفعول أيضًا محذوف تقديره: ومن يرد فيه تَعَدِّيا"(٣).

ونقل هذا الرأي الجاوي (ت: ١٣١٦هـ) فقال: "ومفعول «يرد» متروك ليتناول كل متناول؛ أي ومن يرد في مكة مرادا، مائلا عن الاعتدال ظالما أحدا نذقه من عذاب أليم، فإن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق العدل في جميع ما يقصده"(٤).

---

(١) أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١٠٥/٦).

(٢) النسفي، أبو البركات (ت: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٤٣٤/٢).

(٣) ابن عادل (ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، (٦١/١٤).

(٤) محمد بن عمر نووي الجاوي (ت: ١٣١٦هـ) (سنة النشر ١٤١٧ هـ)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق: محمد أمين الضناوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت ، (٦٩/٢).

والقاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) وافقهم كذلك في قوله: "ومفعول (يرد) إما محذوف؛ أي يرد شيئا أو مرادا ما، والباء للملابسة"(١).

إن إجماع المفسرين على وجود عنصر لغوي محذوف في الآية الكريمة، واجتهادهم لتفسيره، وتأويله، هو أوضح صورة من صور التلقي الفعال للنص القرآني، المبني على التفاعل والقراءة الواعية لدلالة النص، بناء على الفهم المنطقي المبني على أدوات المفسر المتمكن.

فقد أجمعوا على أن مفعول (يُرد) محذوف، سواء كان (مرادًا، أو تعديّا، أو شيئًا) وعللوا ذلك بقولهم: ليتناول كل متناول، فكأن مساحة التعبير المستفادة من العنصر المحذوف مفتوحة، تمنح النص تماسكًا، وترابطًا نصيًّا بعد إتمام المعنى.

وفي قوله تعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحج:٣٩]، في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يقاتلون﴾ حذف " والمعنى أذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه لدلالة (يقاتلون) عليه ﴿بأنهم ظلموا﴾ بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله ﷺ كان مشركو مكة يؤذونهم أذىً شديدًا وكانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب إليه فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية"(٢).

وقد ساعد على تأويل العنصر المحذوف من الآية الكريمة السياق بنوعيه اللغوي، والمقامي، ونص على ذلك النسفي (ت ٧١٠هـ) في قوله: لدلالة (يقاتلون) عليه، فقد دلت هذه الكلمة على العنصر المحذوف، كما أن سياق الحال المتمثل في سبب النزول، وحال المسلمين المضطهدين في مكة وخارج مكة، بأن

---

(١) القاسمي، جمال الدين (ت: ١٣٣٢هـ)، (سنة النشر ١٤١٨ هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، (٢٣٩/٧).

(٢) النسفي، أبو البركات (ت: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٤٤٢/٢).

شرع لهم الشارع الدفاع عن أنفسهم، وحماية دولتهم بالقتال، يمثل سياقًا مقاميًّا يسهم في الكشف عن العنصر المحذوف، ومن ثَمَّ تحقيق التماسك النصي في الآية الكريمة.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظالمة**﴾ [الحج: ٤٨] " أي وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينًا"(١). فتأويل الحذف في الآية الكريمة، وهو المضاف (أهل) ساهم في إبراز جماليات البلاغة القرآنية، وتحقيق التماسك الدلالي.

وفي قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّ مّن ذلكم النار** ﴾ [الحج: ٧٢] "من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم، ﴿النار﴾ خبر مبتدأ محذوف كأن قائلًا قال: ما هو؟ فقيل: النار؛ أي هو النار ﴿وَعَدَهَا الله الذين كَفَرُواْ﴾ استئناف كلام ﴿وَبِئْسَ المصير﴾ النار"(٢).

إنَّ المتأمل في الآية الكريمة السابقة يجد عظمة المفسرين وقدرتهم على التمكن من المعنى بتأويل المحذوف، وإظهار إعجاز الإيجاز القرآني، وتماسك المعنى المرتبط بالحذف، حيث جعل الإيجاز والحذف في الآية المتلقي يتفاعل مع النص، ويكون المعنى فيتحقق له إعجاز النص وترابطه.

وهناك أمثلة من الحذف النحوي، وهو حذف يوجبه النظام النحويُّ للجملة، وقد يكون هذا النوع من الحذف بديهيًّا، لكنه في كثير من المواضع يحتاج لتأويل ليكتمل المعنى، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ** ﴾ [الحج:٢٨] قال أبو السعود (ت ٩٨٢هـ): ﴿منافع﴾ عظيمةَ الخطرِ كثيرةَ العددِ أو نوعًا من المنافع الدينيةِ والدنيويةِ المختصَّةِ بهذه

(١) المصدر السابق نفسه، (٤٤٥/٢).

(٢) المصدر السابق نفسه، (٤٥٣/٢).

العبادة، واللاَّمُ في قوله تعالى ﴿لَهُمْ﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ هو صفةٌ لمنافع؛ أي منافع كائنةً لهم"(١).

فتقدير أبي السعود لفظة (كائنة) أو أي لفظة أخرى يسهم في بناء المعنى لنص الآية الكريمة؛ مما يحقق ترابطها لدى القارئ.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ** ﴾ ، قال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ): " ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يجوز أن يتعلَق بـ «يُجادِلُ»، وأَنْ يتعلَّق بمحذوفٍ على أنَّه حالٌ مِنْ فاعل «يجادل»؛ أي: يجادِلُ ملتبسًا بغير عِلْمٍ؛ أي: جاهلًا " (٢). فإنَّ تقدير الحذف النحوي في الآية الكريمة يزيد في إيضاح المعنى، واتساق النص.

ومن الحذف النحوي حذف المخصوص بالمدح والمخصوص بالذم في آيات سورة الحج، في قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ [الحج: ٧٨]، قال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ): " وقوله: ﴿فَنِعْمَ المولى﴾ أي: اللهُ. وحَسَّن حذفَ المخصوصِ وقوعُ الثاني رأسَ آيةٍ وفاصلةٍ " (٣).

ومثله قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الحج: ٧٢]، قال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ): "قوله: ﴿وَبِئْسَ المصير﴾ المخصوصُ محذوفٌ. تقديرُه: وبئس المصيرُ هي النارُ"(٤). وهناك حذف نحوي آخر في الآية الكريمة نبَّه عليه الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في

---

(١) أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١٠٣/٦).

(٢) السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد بن محمد الخراط، دار القلم. (٢٢١/٨).

(٣) المصدر السابق نفسه، (٣١٠/٨).

(٤) السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٣٠٦/٨).

قوله: "قرئ (النَّارُ) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنّ قائلا قال: ما هو؟ فقيل: النار؛ أي: هو النار"(١). وهذا النوع من الحذف وإن كان طبيعيّا لكنه يسهم في تماسك نص الآية بعد إيضاحه؛ لأنه عنصر لغوي مجتزأ من الآية الكريمة.

ومثله قوله تعالى: ﴿ **يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ** ﴾ [الحج: ١٣]، قال ابن عادل (ت: ٧٧٥هـ): "قوله: ﴿لَبِئْسَ المولى وَلَبِئْسَ العشير﴾ المولى هو الناصر، والعشير الصاحب والمعاشر. والمخصوص بالذم محذوف تقديره: لبئس المولى ولبئس العشير ذلك المدعو"(٢).

الأمثلة السابقة في حذف المخصوص بالمدح أو الذم من أنواع الحذف النحوي المرتبط بالسياق، حيث وجود دليل سياقي يدل على المحذوف، تقدم عليه في جملته، وتأويل المحذوف يبرز المعنى الكامل لدى المتلقين، فيكون المعنى أكثر وضوحًا مما يسهم في ترابط النص وتماسكه.

ومن الحذف النحوي أيضًا الذي يسهم في تماسك قوله تعالى: ﴿ **يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ** ﴾ [الحج: ١٣] ما جاء في قول أبي الحسن المجاشعي (ت: ٤٧٩هـ): " ويسأل عن قوله تعالى: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣]، لم دخلت هذه (اللام) هاهنا، وأنتم لا تجيزون: ضربت لزيدًا؟ وفي هذا للعلماء ثلاثة أجوبة: أحدها: أن في الكلام حذفًا، تقديره: يدعو والله لمن ضره أقرب من نفعه، فاللام على هذا جواب القسم المحذوف"(٣).

---

(١) الزمخشريّ (ت: ٥٣٨هـ)، (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت، (١٦٩/٣).

(٢) ابن عادل (ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، (٣٥/١٤).

(٣) أبو الحسن المجاشعي (ت: ٤٧٩هـ)، (سنة النشر ١٤٢٨هـ) النكت في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، (٣٣٤/١).

افترض المجاشعي قسمًا محذوفًا من الآية الكريمة، وبنى عليه دخول اللام على الاسم الموصول (لمن) في جواب القسم المحذوف، وافتراض القسم بوصفه عنصرًا لغويا محذوفًا يترتب عليه معنى مختلف عن افتراض دلالة أي شيء غير القسم في الآية.

وثمّة رأي آخر نقله أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) في تأويل الحذف من الآية الكريمة السابقة، أن (لمن) مبتدأ وخبره محذوف تقديره (إلهي)، لكنه رجَّح الرأي السابق، يقول في ذلك: " أن (يَدْعُو) بمعنى: يقول (ولَمَنْ) مُبْتَدَأٌ مَوْصُولٌ صِلَتُهُ الْجُمْلَةُ بَعْدَهُ. وَهِيَ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ، وَخَبَرُ الْمُبْتَدَأِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: (إِلَهٌ وَإِلَهِيٌّ)... وَأَقْرَبُ التَّوْجِيهَاتِ أَنْ يَكُونَ (يَدْعُو) تَوْكِيدًا لِيَدْعُو الْأَوَّلِ وَاللَّامُ فِي (لَمَنْ) لَامُ الِابْتِدَاءِ، وَالْخَبَرُ الْجُمْلَةُ الَّتِي هِيَ قَسَمٌ مَحْذُوفٌ"(١).

وخلاصة القول أن تأويل العناصر اللغوية المحذوفة من الآية جعلها منطقية المعنى، ومنحها استمرارًا دلاليًّا أدى إلى الكشف عن تماسك النص في الآية الكريمة.

ومن الحذف النحوي تأويل صفة للمفعول المحذوف (ألوانًا)، في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ [الحج: ٥]، يقول ابن عادل (ت٧٧٥هـ): " قوله: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾. فيه وجهان: أحدهما: أنه صفة للمفعول المحذوف، تقديره: وأنبتت ألوانًا أو أزواجًا من كل زوج"(٢). ولا ريب أن الوقوف على الصفة المحذوفة في الآية كشفت الحبك النصي.

هذا في حين يرى الباحث أن الحذف النحوي في سورة الحج كثير المواضع، ومنه ما يؤثر على المعنى بحيث يتوقف على فهمه الوقوف على العنصر المحذوف، ومنه ما هو بديهي الفهم، حيث يفهمه المتلقي بشكل طبيعي، وفي كل

(١) أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، (٤٩٠/٧).

(٢) ابن عادل (ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، (٢٣/١٤).

المواضع يؤدي دورًا في إظهار الترابط الدلالي في سورة الحج، من خلال الوقوف على الاستمرارية الدلالية لنص السورة.

ثانيًا: الحذف الفعلي:

كان وعي القدماء بقضية الحذف كاملًا، وتعدى ذلك إلى بيان أثر المقام في تحديد العنصر المحذوف من الجملة والنص، وخاصة حذف العناصر الفعلية من الجملة، وهو ما بسطه سيبويه (ت ١٨٠هـ)، في باب [ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهى]: " وذلك قولك، إذا رأيتَ رجلًا متوجِّها وِجْهَةَ الحاجّ، قاصدا في هيئة الحاجّ، فقلت: مَكّةَ ورَبَّ الكعبة. حيث زَكِنتَ أنَّه يريد مكّةَ، كأنك قلت: يريد مكّةَ واللهِ. ويجوز أن تقول: مكّةَ واللهِ؛ على قولك: أَرادَ مكّةَ واللهِ، كأَنّك أخبرتَ بهذه الصفِّة عنه أنّه كان فيها أمسِ، فقلتَ: مكة والله، أي أراد مكة إذ ذاك. ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ بل ملة إبراهيم حنيفا ﴾، أي: بل نَتَّبعُ ملّةَ إبراهيم حنيفا؛ كأَنه قيل لهم: اتَّبِعوا، حين قِيل لهم: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾.

أو رأيتَ رجلًا يسدِّدُ سَهْمًا قِبَلَ القِرطاسِ فقلتَ: القِرطاسَ واللهِ؛ أي: يُصيبُ القِرطاسَ. وإذا سمعتَ وَقْعَ السَّهم في القرطاس، قلت: القرطاسَ واللهِ؛ أي: أَصاب القرطاسَ. ولو رأيت ناسًا يَنظرون الهِلالَ وأنت منهم بَعيدٌ فكبَّروا لقلتَ: الهلالَ وربَّ الكعبةِ؛ أي: أَبصروا الهلالَ. أو رأيتَ ضَرْبًا فقلت على وجهِ التَّفَاؤُلِ: عبدَ الله؛ أي: يَقَعُ بعبدِ الله أو بعبدِ الله يكونُ. ومثل ذلك أن ترى رجلًا يريد أن يوقِعَ فِعْلا، أو رأيتَه في حالِ رجلٍ قد أَوْقَعَ فعلا، أو أُخبرتَ عنه بفعلٍ، فتقول: زيدًا. تريد: اضربْ زيدًا، أو أَتَضربُ زيدًا"(١).

وفي سورة الحج أمثلة وافية للحذف الفعلي منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**

(١) سيبويه، الكتاب، (٢٥٧/١).

وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ١٨]، قال السمين الحلبي (٧٥٦ هـ): " قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ الناس﴾ : فيه أوجهٌ: أحدُها: أنه مرفوعٌ بفعلٍ مضمرٍ تقديرُه: ويَسْجُدُ له كثيرٌ من الناس. وهذا عند مَنْ يمنعُ استعمالَ المشتركِ في معَنيْيه، أو الجمعَ بين الحقيقة والمجازِ، في كلمةٍ واحدةٍ؛ وذلك أنَّ السجودَ المسندَ لغيرِ العقلاءِ غيرُ السجود المسندِ للعقلاءِ " (١). ووافقه ابن عادل (٧٧٥هـ) في قوله: " أن نقطع قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ الناس﴾ عما قبله، ثم فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن تقدير الآية: ولله يسجد من في السماوات ومن في الأرض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الأول بمعنى الانقياد، والثاني بمعنى العبادة، وإنما فعلنا ذلك لقيام الدلالة على أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في معنييه جميعًا " (٢). ووافقهما أبو السعود (ت٩٨٢هـ) كذلك في قوله: " ﴿وَكَثِيرٌ مّنَ الناس﴾ فإنَّه مرتفعٌ بفعل مُضمر يدلُّ عليه المذكورُ؛ أي ويسجدُ له كثيرٌ من النَّاسِ سجود طاعةٍ وعبادةٍ ومن قضيَّتِه انتفاءُ ذلك عن بعضِهم " (٣).

ويبدو أن تأويل الفعل المحذوف من الآية الكريمة عزز عند المتلقي قيمة الترابط الحاصل بين طرفي الآية، حيث الاتصال الدلالي واستمرارية المعنى بعد التفريق بين سجود العاقل وسجود غير العاقل.

وفي قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ [الحج: ٢٢] هناك فعل محذوف من الآية نص عليه أبو السعود (ت٩٨٢هـ)، يقول: " ﴿وَذُوقُواْ﴾ على تقدير قولٍ معطوفٍ على (أعيدوا)؛ أي وقيل لهم ذُوقُواْ " (٤). وأسهم بيانه في الكشف عن الترابط الدلالي في الآية الكريمة.

---

(١) السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٢٤٤/٨).

(٢) ابن عادل (ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، (٤٢/١٤).

(٣) أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٩٩/٦).

(٤) أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١٠١/٦).

وفي قوله تعالى: ﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾ [الحج: ٢٣]، يقول السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ): " قوله: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ قرأ نافعٌ وعاصمٌ بالنصبِ. والباقون بالخفضِ. فأمَّا النصبُ ففيه أربعةُ أوجهٍ: أحدها: أنَّه منصوبٌ بإضمار فعلٍ تقديرُه: ويُؤْتَوْن لُؤْلؤًا " (١). فتأويل فعل محذوف يسهم في استمرارية الدلالة وتماسك النص.

وفي قوله تعالى: ﴿ **يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ** ﴾ [الحج: ٢٠]، قال ابن عادل (٧٧٥تهـ): " قوله: «والجُلُود» فيه وجهان: أظهرهما: عطفه على «ما» الموصولة؛ أي: يذيب الذي في بطونهم من الأمعاء، ويذاب أيضًا الجلود؛ أي يذاب ظاهرهم وباطنهم. والثاني: أنه مرفوع بفعل مقدر؛ أي: يحرق الجلود. قالوا: لأن الجلد لا يذاب إنما ينقبض وينكمش إذا صلي بالنار " (٢). فعلى صحة الرأي القائل بوجود فعل مقدر (يحرق) والدليل عليه عقلي وعلمي، فإن استمرارية المعنى قد تحققت بتأويل الفعل المحذوف.

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [الحج: ٢٥]، قال الكرماني (ت٥٠٥هـ): " قوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ). قيل: الواو زائدة و"يَصُدُّونَ" خبر "إِنَّ"، وقيل: الواو" للحال، والخبر محذوف؛ أي هلكوا، وقيل: – وهو الغريب –: إن المستقبل بمعنى الماضي؛ أي كفروا وصدوا، والخبر كما سبق محذوف " (٣). ووافقه ابن جزي (ت٧٤١هـ) الذي قال: " (إِنَّ الَّذِينَ

(١) السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٢٥٢/٨).

(٢) ابن عادل (ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، (٤٨/١٤).

(٣) برهان الدين الكرماني (ت: ٥٠٥هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت. (٢/ ٧٥٥).

كَفَرُوا) خبره محذوف يدل عليه قوله: (نذقه من عذاب أليم) " [1]. ووافقه كذلك الثعالبي (ت٨٧٥ هـ) الذي قال: " وخبر (إِنَّ) محذوف مقدّر عند قوله: (والْبادِ): تقديره: خسروا أو هلكوا. (والْعاكِفُ): المقيم في البلد، و«البادي» : القادم عليه من غيره " [2]. فعلى تأويل الخبر المحذوف من الآية الكريمة (هلكوا) يتضح مصير من كفر واكتمال قصتهم، واتصال المعنى والحبك النصي.

ومن أمثلة الاحتباك الذي نص عليه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في البرهان في قوله: " قد يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، وقد يعكس، وقد يحتمل اللفظ الأمرين " [3]. ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ** ﴾ [الحج: ٦٧]، قال ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ): " (فَلا يُنازِعُنَّكَ) ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي منازعة النبي صلى الله عليه وسلمح لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي والمراد غير النهي، وقيل: إن المعنى لا تنازعهم فينازعوك، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه " [4]. فثمة فعل محذوف دل عليه نظيره، وجعل دلالة الآية متصلة.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ** ﴾ [الحج: ٣٦] " (وَالْبُدْنَ) : منصوب بفعل دَلّ عليه (جَعَلْنَاهَا)؛ أي جعلنا

---

(١) ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، (سنة النشر ١٤١٦هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، (٣٦/٢).

(٢) الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، (سنة النشر ١٤١٨ هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (١١٤/٤).

(٣) الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، (١٣٣/٣).

(٤) ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، (٤٤/٢).

البدن جعلناها، فحذف الأول لأن الثاني ينوب عنه" [١]. فتقدير فعل (جعلناها) محذوف دل عليه السياق اللغوي ومنح الآية سمة الاتصال.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الحج: ٧٨]، قال البيضاوي (٦٨٥هـ): " (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف، أي: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم " [٢]. ووافقه السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) في قوله: " قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ فيه أوجهٌ: أحدُها: أنها منصوبةٌ بـ (اتَّبِعوا) مضمرًا، قاله الحوفي، وتبعه أبو البقاء" [٣]. وكذلك الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) في قوله: " (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ): ومِلَّةَ نصب بفعل مضمر من أفعال الإغراء "[٤]. وبناء على تأويلات المفسرين السابقة يتضح أن ملء الفراغ النصي فى الآية الكريمة يمنح نص الآية ترابطًا وتماسكًا.

وفي قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ [الحج: ٢٢]، قال ابن عطية (ت٥٤٢هـ): " وقوله: (وَذُوقُوا) هنا محذوف تقديره: ويقال لهم: ذُوقُوا والْحَرِيقِ، فعيل بمعنى مفعل؛ أي محرق " [٥].

---

(١) برهان الدين الكرماني (ت: ٥٠٥هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، (٢/ ٧٥٩).

(٢) البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، (١٤١٨هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٧٩/٤).

(٣) السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٣٠٨/٨).

(٤) الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (١٣٨/٤).

(٥) ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، (سنة النشر ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م)، المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، (١١٣/٤).

فمحاولة ابن عطية الوقوف على الحذف الفعلي في الآية الكريمة تظهر الترابط النصي فيه، ولذلك يحرص المفسرون على إظهار الإعجاز القرآني، ومن صوره بيان تماسك النص القرآني بتأويل العناصر اللغوية المحذوفة.

حذف الجمل والتراكيب:

من أنماط الحذف المهمة في علم لغة النص حذف بعض الأحداث في التسلسل الزمني للقصة القرآنية، أو اختصار الأحداث، بحيث يتمكن المتلقي من مجاهدة فكره وتحديد المحذوف من المكان والزمان، وتفاصيل الأحداث، ليُكمل المعنى، ويتحقق التماسك، " والحذف النصي يقوم على الربط بين النص والمقام، وهذا الدور يأتي من فهم السياق وتأويل المتلقي " (١) .

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ** ﴾ **[الحج: ٥]، قال** الألوسي (ت ١٣٤٢هـ): " علة لنخرجكم معطوف على علة أخرى مناسبة لها كأنه قيل: ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا... إلخ، وقيل: علة المحذوف والتقدير: ثم نمهلكم لتبلغوا... إلخ. وجوز العلامة الطيبي أن يكون التقدير: ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ كان ذلك الإقرار والإخراج، وقيل: إنه عطف على (نبين) " (٢).

في مراحل خلق الجنين أحداث وتفاصيل جانبية، انتبه إليها العلامة الألوسي، وأشار إليها، منها الإمهال الزمني ما بين الطفولة والبلوغ، وفي هذا إسهام في ترابط الأحدث، ومن ثم تماسك النص.

---

(١) الهوواشة، محمود، الاتساق في تماسك النص، سورة يوسف مثالا، ص١٢٨.

(٢) أبو المعالي الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ)، (سنة النشر:١٤١٥هـ)، روح المعاني، تحقيق: علي عبد البارى عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، (١١٢/٩).

وفي قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا** ﴾ [الحج:٢٢]، قال أبو السعود (ت٩٨٢هـ): " ﴿مِنْ غَمّ﴾ أي من غمَ شديدٍ من غمومِها، وهو بدلُ اشتمالٍ من الهاء بإعادة الجارِّ والرابط محذوفٌ كمَا أُشير إليهِ" (١).

إن التعبير بالنكرة (غم) أثار عند أبي السعود (ت٩٨٢هـ) التفكير في دلالة النكرة وارتباطها بما قبلها وما بعدها في المعنى، حيث قدر تركيبًا محذوفًا يتضح من خلاله المعنى، ويظهر تماسك النص القرآني، وهو قوله: من غم شديد من غمومها.

وفي قوله تعالى: ﴿ **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ [الحج: ٥٦]، يقول النسفي (ت: ٧١٠هـ): " ﴿الملك يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة، والتنوين عوض عن الجملة؛ أي يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم " (٢). فقد استلهم النسفي تركيبًا محذوفًا يعمل على ترابط أجزاء الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿**ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وَأَنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [الحج: ٦١]، يقول النسفي (ت: ٧١٠هـ) : (ذلك) أي ذلك النصر للمظلوم بسبب أنه قادر على ما يشاء، ومن آيات قدرته أنه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل)؛ أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا، أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف، وأنه (سميع) لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وإن اختلفت في النهار الأصوات بفنون اللغات (بصير)

(١) أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١٠١/٦).

(٢) النسفي، أبو البركات (ت: ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٤٤٨/٢).

مما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء في الليالي وإن توالت وإن توالت الظلمات" (١).

ويلاحظ الباحث أن الإمام النسفي بوصفه متلقيًا للنص القرآني يمتلك أدوات التفسير والتأويل، لديه قدرة فائقة على ربط أجزاء السورة ورد العناصر المحذوفة، ففي الآية السابقة ربط دلالة الأمر بالقتال بقدرة الله على إدخال الليل في النهار وقدرته المطلقة في التصرف، وفي هذا احتباك، وتماسك شديد بين أجزاء السورة.

وأيضًا في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ [الحج:٢٥]، يقول النسفي (ت ٧١٠هـ): ﴿إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله﴾ وخبر (إن) محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره: إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبًا فهو كذلك " (٢). حيث يرى أن هناك خبرًا محذوفًا يدل عليه السياق يسهم في ترابط الآية الكريمة.

وأيضًا في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ [الحج:٢٦]، يقول النسفي (ت ٧١٠هـ): ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإبراهيم مَكَانَ البيت﴾ واذكر يا محمد حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة؛ أي مرجعًا يرجع إليه للعمارة والعبادة، وقد رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء، فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم ﴿أن﴾ هي المفسرة للقول المقدر؛ أي قائلين له ﴿لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأصنام والأقذار " (٣). كعادته

(١) المصدر السابق نفسه، (٢/٤٥٠).

(٢) المصدر السابق نفسه، (٢/٤٣٤).

(٣) المصدر السابق نفسه، (٢/٤٣٥).

في التأويل يضع النسفي المحذوف والمقدر من الآية الكريمة في موضعه ليتضح ترابط النص القرآني وتماسكه الشديد للمتلقي.

وفي قوله تعالى: ﴿ **يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ** ﴾ [الحج: ١٣]، يقول أبو السعود (ت ٩٨٢هـ): " وقوله تعالى: ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ جوابٌ لقسم مقدَّرٍ هو وجوابه خبرٌ للمبتدأ الأولِ، وإيثارُ (مَن) على (مَا) مع كون معبودِه جمادًا...أي يقول ذلك الكافرُ يوم القيامةِ بدعاء وصُراخٍ حين يرى تضرُّرَه بمعبوده ودخولَه النَّارَ بسببه ولا يرى منه أثرَ النَّفعِ أصلًا لمن ضره أقرب من نفعه، والله لبئسَ النَّاصرُ هو ولبئسَ الصَّاحبُ هو " (١).

تمكن أبو السعود من إيضاح القول في الآية من خلال رد التركيب المحذوف وهو: يقول ذلك الكافرُ يوم القيامةِ بدعاء وصُراخٍ حين يرى تضرُّرَه بمعبوده ودخولَه النَّارَ بسببه ولا يرى منه أثرَ النَّفعِ أصلًا، هذا التركيب المحذوف أسهم في الكشف عن تماسك نص الآية الكريمة.

وفي قوله تعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحج: ٣٩]، يقول أبو السعود (ت ٩٨٢هـ): " ﴿لِلَّذِينَ يقاتلون﴾ أي يُقاتلهم المشركون، والمأذونُ فيه محذوفٌ لدلالة المذكورِ عليه، فإنَّ مقاتلة المشركين إيَّاهُم دالَّةٌ على مقاتلتهم إياهم دلالة نيرة، وقرئ على صيغة المبنيِّ للفاعلِ؛ أي يُريدون أنْ يُقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويَحرصون عليه، فدلالتُه على المحذوفِ أظهرُ " (٢).

نصَّ أبو السعود على وجود تركيب محذوف من الآية الكريمة وقد دل على المحذوف السياق الداخلي للآية، وهو الأمر بقتال المشركين. ولا يحل محل

---

(١) أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٩٧/٦).

(٢) المصدر السابق نفسه، (١٠٧/٦).

المحذوف أي شيء، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغًا بِنْيَويًّا يهتدي إلى ملئه اعتمادًا على ما ورد في الجملة الأولى أو النصّ السابق.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ** ﴾ [الحج: ٤٢]، يقول أبو السعود (ت ٩٨٢هـ): " ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ ﴿وَقَوْمِ إبراهيم وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ﴿وأصحاب مَدْيَنَ﴾ أي رُسُلَهم ممَّن ذُكر ومَن لم يُذكر، وإنَّما حُذف لكمال ظهور المرادِ أو لأنَّ المرادَ نفسُ الفعل؛ أي فعلتْ التَّكذيبَ قومُ نوحٍ إلى آخره " (١). وحذف التركيب: رسلهم ممن ذكر ومن لم يذكر، الذي أوّله أبو السعود، جاء ليكشف ترابط النص.

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [الحج: ١٧]، يقول ابن عادل (ت٧٧٥هـ): " فإنه يتعين قوله: ﴿إِنَّ الله يَفْصِلُ﴾ الآية محتملة لوجهين آخرين ذكرهما الناس: الأول: أن يكون الخبر محذوفًا تقديره: يفترقون يوم القيامة ونحوه، والمذكور تفسير له، كذا ذكره أبو البقاء " (٢).

يرى ابن عادل أن هناك تركيبًا محذوفًا، هو: يفترقون يوم القيامة، دل عليه السياق، فالتركيب السابق في الآية الكريمة يمكن أن يمدنا بتأويل يملأ المعنى، ويظهر الترابط ، حتى إن القارئ يتوقع المعنى.

إن لغة القرآن الكريم تميل إلى الاختصار والإيجاز، وأحيانًا تميل إلى الحذف المبني على ملء الثغرات النصية من قبل المتلقي، وفي هذا دعوة إلى التفكير وإعمال العقل، وتحقق تماسك النص. ففي قوله تعالى: ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾ [الحج:٢٧]، يقول الثعلبي (ت٤٢٧هـ): " (وَأَذِّنْ) يعني وعهدنا إلى إبراهيم أيضا أن أذّن؛ أي أعلم

(١) المصدر السابق نفسه، (١٠٩/٦).

(٢) ابن عادل (ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، (٤٠/١٤، ٤١).

وناد فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ. فقال إبراهيم: يا رب وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعليّ البلاغ، فقام إبراهيم على المقام، وقيل: على جبل أبي قبيس ونادى: يا أيها الناس ألا إنّ ربّكم قد بنى بيتا فحجّوه، فأسمع الله ذلك من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وما بين المشرق والمغرب والبر والبحر ممن سبق في علم الله سبحانه أن يحجّ إلى يوم القيامة، فأجابه: لبيك اللهم لبيك" (١). ووافقه ابن عادل (ت٧٧٥هـ) الذي قال: " قال أكثر المفسرين: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال الله له: ﴿أذن في الناس بالحج﴾، قال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال: عليك الأذان وعليَّ البلاغ، فصعد إبراهيم الصفا، وفي رواية أبا قبيس، وفي رواية على المقام. فارتفع المقام حتى صار كأطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه، وأقبل بوجهه يمينًا وشمالًا وشرقًا وغربًا وقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتًا، وقد كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم، فأجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمّهات: لبيك اللهم لبيك" (٢).

إن التأويل السابق للأمر بالآذان في الحج يملأ التركيب المحذوف، ويمنح المتلقي قدرة على فهم طبيعة تشريع الحج، وبالتالي يتحقق ترابط النص وتماسكه.

**

(١) الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢ م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، راجعه: نظير الساعدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (١٧/٧).

(٢) ابن عادل (ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، (٦٩/١٤، ٧٠).

الخاتمة

إن الحذف من الظواهر النصية الجديرة بالدراسة؛ لما يترتب عليه من كشف لمظاهر التماسك النصي في النصوص اللغوية، وخاصة القرآن الكريم، وقد عالج الباحث في هذا البحث ظاهرة الحذف في سورة الحج، من خلال الوقوف على أنواع الحذف المتاحة في السورة، وهي: الحذف الاسمي، والفعلي، وحذف الجمل والتراكيب، وقد عرض الباحث مقاصد السورة الكريمة، فعلى الرغم من تعدد موضوعاتها إلا أنها مترابطة شانها شأن جميع سور القرآن الكريم، فالقرآن الكريم في ترابطه كالكلمة الواحدة.

وقد خرج الباحث بعدة نتائج من الدراسة، أهمها:

١- لغة القرآن الكريم تميل إلى الاختصار والإيجاز، وأحيانًا تميل إلى الحذف المبني على ملء الثغرات النصية من قبل المتلقي.

٢- كل ما يتعلق بشخصية المسلم وبنائها يمثل إطارًا عامًّا كليًّا، يربط آيات سورة الحج بعضها ببعض، ويحقق تماسكها النصي.

٣- أجمع علماء اللغة القدماء والمحدثون على أن الشرط الأساسي للحذف هو ضرورة وجود دليل حالي أو مقالي يدل على المحذوف.

٤- الحذف النحوي في سورة الحج كثير المواضع، منه ما يؤثر على المعنى بحيث يتوقف على فهمه الوقوف على العنصر المحذوف، ومنه ما هو بديهي الفهم، حيث يفهمه المتلقي بداهة.

٥- أكثر أنواع الحذف ورودًا في سورة الحج هو الحذف الاسمي، حيث بلغ أكثر من سبعة عشر مثالا.

٦- أقل أنواع الحذف ورودًا في سورة الحج هو حذف الجمل والتراكيب؛ وذلك لندرة وجود القصص في السورة الكريمة.

٧- المفسرون أكثر أنواع المتلقين قدرة على فهم النص القرآني؛ لامتلاكهم أدوات التفسير، وبناء عليه يمتلكون قدرة على رد العناصر المحذوفة في مواضعها أكثر من غيرهم.

٨- تميز الإمام النسفي (ت٧١٠هـ) عن غيره من المفسرين بقدرة كبيرة على تأويل الحذف في سورة الحج.

**

المصادر والمراجع

- ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، (سنة النشر ١٤١٦هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت.
- ابن عادل (ت٧٧٥هـ)، (١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، بيروت / لبنان. دار الكتب العلمية.
- ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، (سنة النشر ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت.
- ابن عقيلة المكي، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، مركز إصدارات مركز البحوث والدراسات- جامعة الشارقة.
- أبو الحسن المجاشعي (ت: ٤٧٩هـ)، (سنة النشر ١٤٢٨هـ)، النكت في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت.
- أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أبو المعالي الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ)، (سنة النشر:١٤١٥هـ)، روح المعاني، تحقيق: علي عبد البارى عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت.
- أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، (سنة النشر١٤٢٠ هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.
- آلاء أحمد حسن (١٤٣٧هـ -٢٠١٦م)، التخلص في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، الطبعة الأولى، دار غيداء للنشر والتوزيع.

- برهان الدين الكرماني (ت: ٥٠٥هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
- البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، (١٤١٨هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، (سنة النشر ١٤١٨ هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، راجعه: نظير الساعدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
- جاسم، جاسم على (٢٠١٨م)، أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الجبوري، أحمد حسن (٢٠١٤م)، موسوعة أساليب الإيجاز في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية.
- حمد، عبد الله خضر (٢٠١٧م)، لسانيات النص القرآني، دراسة تطبيقية في الترابط النصي، دار القلم للنشر والتوزيع.
- الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، (١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- الزمخشريّ (ت: ٥٣٨هـ)، (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت.

- السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد بن محمد الخراط،، دار القلم.
- سيبويه (ت ١٨٠هـ)، (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- شيماء رشيد محمد (٢٠١٥م) الخلاف النحوي في بنية النص القرآني في ضوء الدراسات، الطبعة الأولى، دار دجلة للنشر.
- صبحي إبراهيم (٢٠٠٠م)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للنشر والتوزيع.
- الظواهري، كاظم (١٤١٣هـ– ١٩٩١م)، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي.
- عبد السلام، فايز صبحي (٢٠١١م) الحذف التركيبي وعلاقته بالنظم والدلالية، دار الكتب العلمية.
- علي، أحمد سمير (٢٠٢٢م)، البنية النصية في ديوان البحتري، وكالة الصحافة العربية.
- القاسمي، جمال الدين (ت: ١٣٣٢هـ)، (سنة النشر ١٤١٨ هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت.
- محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، (سنة النشر١٤٠٣ هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر.
- محمد بن عمر نووي الجاوي (ت: ١٣١٦هـ) (سنة النشر ١٤١٧ هـ)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق: محمد أمين الضناوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت.

- النسفي، أبو البركات (ت: ٧١٠هـ)، (سنة النشر ١٤١٩ – ١٩٩٨م)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيب – بيروت.
- النوري، محمد جوادي (٢٠٢٠م)، لسانيات النص وتحليل الخطاب، دار الكتب العلمية.
- الهوواشة، محمود (٢٠١٧م)، الاتساق في تماسك النص، سورة يوسف مثالا، دار الرنيم للنشر والتوزيع.
- وهبة بن مصطفى الزحيلي الدمشقي (ت: ١٤٣٦هـ)، (سنة النشر ١٤١٨هـ)، التفسير المنير، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر– دمشق.

* * *